نفرة فضارت بحيث يتعذر او يتعسر ردها فتبين انه
لا عهد لهم مع ادعائهم انهم اوفى الناس ولا صدق
عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق ثم علل
نفورهم بقوله تعالى استكبارا اى طلبا لايجاد الكبر
لانفسهم فى الارض اى التى من شانها السفول والتواضع والخمول فلم يكن نفورهم الامر محمود ولا مباح
ويجوز ان تكون استكبارا بدلا من نفورا وان يكون
حالا اى حال كونهم مستكبرين قال الاخفش وقوله
تعالى ومكر السيئ فيه وجهان اظهرهما انه عطف على
استكبارا والثانى انه عطف على نفورا وهذا من
اضافة الموصوف الى صفته فى الاصل اذ الاصل
والمكر السيى والبصريون يؤولونه على حذف موصوف
اى العمل السيى الذى من شانه ان يسوء صاحبه
وغيره وهو ارادتهم الاهانة امر النبى صلى
الله عليه وسلم واطفاء نور الله عز وجل وقال
الكلبى هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبى صلى
الله عليه وسلم وقرا حمزة فى الوصل بهمزة
ساكنة اى بنية الوقف اشارة الى ان قبح المكر
واتقانه واخفاء جهدهم والباقون بهمزة مكسورة
واذا وقف حمزة ابدل الهمزة ياء محضة الاولى
فى الثانية ووقف الباقون بهمزة ساكنة ولا يحيق
والحال انه لا يحيق اى يحيط احاطة لازمة ضارة
المكر السيئ اى الذى هو غرق فى السوء الا باهله
اى وان اذى غير اهله لكنه لا يحيط بذلك الغير
فان قيل كثيرا ما نرى المكر يضر ويفيده المكر

ويغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك اجيب
باجوبة احدها ان المكر فى الاية هو المكر الذى مكروه
مع النبى صلى الله عليه وسلم من العزم على القتل
والاخراج ولم يحق الا بهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره
ثانيها انه عام وهو الاصح ويدل له قول الزهرى
بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا
ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول هذه الاية
ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم
على انفسكم ولا تنكثوا ولا تعينوا ناكثا قال تعالى
ومن نكث فانما ينكث على نفسه ثالثها ان الله تعالى
يعوضها ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر فى الظاهر
فهو فى الحقيقة هو الفائز والمالك هو الهالك مثل
راحة الكافر ومشقة المسلم فى الدنيا ويؤيد هذا
المعنى قوله تعالى فهل ينظرون اى ينتظرون الا
سنة الاولين اى سنة الله تعالى فى اهلاك من تقدمهم
بتكذيبهم رسلهم والمعنى فهل ينتظرون
الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار
ولما جاء هذا النظر محتاجا الى صفاتى اللب وذكاء
اللفن عدل عن ضميرهم الى خطاب اعلى الخلق
بقوله تعالى فلن تجد اى فى وقت من الاوقات لسنة
الله اى طريقة الملك الاعظم التى شرعها وحتم بها
وهى اهلاك العاصين وانجاء المؤمنين تبديلا
اى ممن احد بان يسنه غيرها تكون بدلا منها لانه
تعالى لا مبدل لحكمه ولن تجد لسنة الله اى الذى لا امر
لاحد معه تحويلا اى من حالة اى احق منها لانه

Copyright by King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)